Asian Journal of Civilizational Studies
e-ISSN 2682-8022 | http://ajocs.com

# الإمام ابن عبيد الله ومنهجه البلاغي في كتابه *بلابل التغريد*

# [IMAM IBN UBAYD ALLAH AND HIS RHETORICAL APPROACH IN HIS BOOK BULBUL AL-TAGHREED]

MOHAMMED HUSSEIN ALI AL-SAYED [1]
ZULAZHAN BIN AB. HALIM
AL-SAYYED MOHAMED SALEEM SALEEM AL-ADAWY

*Received Date*: 1 March 2020 *Accepted Date*: 25 March 2020

## الملخص

تتلخص مشكلة البحث في تبيين أهم الجوانب في هذه الدراسة وهو تعريف عامة المؤمنين من الدارسين للأحاديث النبوية ما تحتويه وتتضمنه هذه النصوص من نكت وفوائد وسمات بلاغية عظيمة، ومن خلال هذه الدراسة المختصرة تبرز لنا أهميتها وأننا لازلنا بحاجة إلى المزيد من البحوث والدراسات في هذا المجال. وتقوم هذه الدراسة بإبراز المنهج البلاغي في الحديث النبوي من خلال تحليل الأحاديث النبوية والشواهد الشعرية في كتاب بلابل التغريد للإمام ابن عبيد الله، بعد ذكر نبذة مختصرة عن الإمام ابن عبيد الله، وحياته العلمية، وذكر أبرز شيوخه، وتلامذته، وعلاقة كتابه "بلابل التغريد" بعلوم اللغة العربية، وبيان منهجه البلاغي في هذا الكتاب. والهدف من هذا البحث التعريف بشخصية إلامام ابن عبيد الله، وبيان منهجه البلاغي في كتاب بلابل التغريد. وقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، حيث قام الباحث بجمع البيانات والمعلومات والتفصيل حول المشكلة، والهدف المراد من عمل البحث العلمي عنه، وجمعها من مختلف المصادر والمراجع. وفي النتيجة تم التعريف بشخصية الإمام ابن عبيدالله، وبيان علاقة كتابه "بلابل التغريد" بعلوم العربية، وبيان منهجه البلاغي في كتاب بلابل التغريد من خلال الذكر والتبيين للعديد من الأساليب والصور البيانية في النصوص النبوية والشعرية في هذا الكتاب.

**الكلمات المفتاحيّة:** المنهج البلاغي، بلابل التغريد، الإمام ابن عبيد الله، البلاغة النبوية، الصور البيانية

[1] Pusat Pengajian Bahasa Arab, Fakulti Bahasa dan Komunikasi, Universiti Sultan Zainal Abidin, Kampus Gong Badak, 21300 Kuala Nerus, Terengganu, MALAYSIA.

**Corresponding Author:**
ZULAZHAN BIN AB. HALIM, Pusat Pengajian Bahasa Arab, Fakulti Bahasa dan Komunikasi, Universiti Sultan Zainal Abidin, Kampus Gong Badak, 21300 Kuala Nerus, Terengganu, MALAYSIA.
**Email**: zulazhan@unisza.edu.my

**Abstract**

The problem of the study is to identify the most important aspects of this study, namely the definition of the general believers of the scholars of the Prophet's Hadith contained in these texts of benefits and features of great rhetoric. Through this brief study, it highlights the importance and that we still need more research and studies in this area. This study highlights the rhetorical approach in the Prophet's Hadith through the analysis of the Prophetic Hadiths and poetic narratives in the book of "Twitter Bluebell" for Al-Imam Ibn Ubaydullah, after mentioning a brief summary of Al-Imam Ibn Ubaydullah, his scientific life, and the most prominent of his teachers, the relationship between this book and the sciences of Arabic language, and the statement of his methodology in this book. The goal of the study is to introduce the personality of Al-Imam Ibn Ubaydullah, and to explain his methodology of the rhetoric in the book "Twitter Bluebell". In this study, the researcher relied on the analytical descriptive method. The researcher collected the data, information, and details about the problem, the objective of the scientific research work, and collected it from various sources and references. As a result, the personality of Al-Imam Ibn Ubaydullah was identified, and the relationship of his book "Twitter Bluebell" in the Arabic sciences was described through the clarification of many methods and graphics in the prophetic and poetic texts in this book.

Keywords: rethorical approach, Twitter Bluebell, Imam Ibnu Ubaidillah, prophetic rethoric, graphic

**Cite This Article:**
Mohammed Hussein Ali Al-Sayed, Zulazhan Bin Ab. Halim & Al-Sayyed Mohamed Saleem Saleem Al-Adawy. (2020). Al-Imam Ibn 'Ubayd Alla wa manhajuhu al-balaghi fi kitabuhu *Balabul al-Taghrid*. *Asian Journal of Civilizational Studies* (*AJOCS*), 2(1), 17-33. Open Acces: http://ajocs.com

**المقدمة**

إن الحديث النبوي جاءنا عن طريق الحبيب محمد المصطفى الأمين، الذي علمه الله الفصاحةَ والبلاغةَ وتحدى به العالمين، وأنزل لنا الكتاب المنزل ـ القرآن الكريم ـ على لسان النبي محمد العربي الفصيح المبين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، كما أخبرنا سبحانه وتعالى في محكم كتابه: {بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ}(سورة الشعراء، آية: 195)، فتتضمن وتتحلى الأحاديث النبوية والنصوص الشعرية العربية بالعديد من الأساليب والصور البلاغية العظيمة وغيرها من محسنات وأسرار اللغة العربية التي وصل لنا الكثير منها بفضل الدارسين القدماء ومن حذا حذوهم ممن شغلوا أوقاتهم في التأليف والدراسة والنقد العلمي لتبيين جماليات هذه اللغة العربية.

ومع كل ما ذُكر عن اهتمام الدارسين في مختلف الدراسات وشتى الأزمنة والمراحل في علوم اللغة العربية فيما يتعلق بالنصوص القرآنية والنبوية لم يكن إلا قليلا في خضم هذا البحر الواسع، بحر اللغة العربية، لكنه لازال

المجال مفتوحا لينهل الجميع من علوم اللغة العربية ذات العلاقة الكبيرة والوثيقة بالكتاب والسنة وكلام الفحول من الشعراء والأدباء على مرور الزمن. فبناء على ذلك أراد الباحث أن تكون دراسته هذه دراسة تحليلية لكتاب بلابل التغريد لابن عبيد الله. وهذا الكتاب مليء بالفوائد العلمية المختلفة، فيتضمنه نصوص الحديث النبوي الذي جاءنا عن طريق الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام، الذي علمه الله الفصاحةَ والبلاغةَ وتحدى به العالمين، كما يتضمن النصوص الشعرية العربية التي تتخللها العديد من الأساليب والصور البلاغية العظيمة ومحسنات وأسرار اللغة العربية التي وصل لنا الكثير منها بفضل الدارسين القدماء. فأراد الباحث أن تكون دراسته هذه حول هذا الكتاب الذي يعتبر كتعليق أو شرح لكتاب التجريد مختصر صحيح البخاري للزبيدي. وعُيِّنَتْ هذه الدراسة في كتاب بلابل التغريد لما فيه من فوائد عظيمة، ونكت بلاغية ولغوية، ومقطوعات شعرية، "ثم إن كتاب بلابل التغريد شاهد على قوة استنباط الإمام ابن عبيد الله وعميق تحليلاته وصحة استنتاجاته، وكأنما عاد إلينا صاحب المقدمة العلامة ابن خلدون ليحلل لنا مشاكل عصرنا الحاضر، وزاد الإمام في كتابه على مقدمة ابن خلدون بالاستطرادات الفقهية، والنوادر الأدبية، وبيان الأحكام الشرعية، في قالب أدبي مشوِّق وجميل، يجعل القارئ لا يستطيع التوقف عن القراءة بعد شروعه فيها. كما أننا نجد في هذا الكتاب ما يدل عل حبِّ ابن عبيد الله الشديد للشعر والأدب فنراه ينطلق في هذا المجال كلما سنحت له الفرصة، ويطلق لذاكرته العنان فتأتي بدرر الشعر والبيان" (ابن عبيد الله، 2015). وستكون هذه الدراسة فيما يخص البلاغة العربية وبالأخص في الصور البيانية التي وردت كثيرا في طيات نصوص هذا الكتاب كالتشبيه والاستعارة والمجاز وغيرها.

وعليه فإن مشكلة البحث تتلخص في الحاجة إلى المزيد من البحوث والدراسات العلمية في نصوص الحديث النبوي وما يتعلق به لاستنباط منه الأوجه البلاغية والصور البيانية. فيهدف هذا البحث إلى التعريف بشخصية الإمام ابن عبيدالله، وتبيين علاقة كتابه بلابل التغريد بعلوم اللغة العربية، وبيان منهجه البلاغي في هذا الكتاب.

## التمهيد

والحق أن متذوقي النصوص العربية حين تحليلها لا ينكرون أهمية تحليل النصوص البلاغية ولا سيما النصوص التي لها أهمية عند معظم العرب المسلمين كنصوص القرآن والسنة والأشعار العربية. وهنا يجدر بنا التركيز والتبيين عن شخصية الإمام ابن عبيدالله الذي كان له الاهتمام الكبير بإيراد الكثير من النصوص العربية في كتابه بلابل التغريد، واهتمامه بشرح الحديث النبوي كشرح مختصر صحيح البخاري (التجريد). وقد تفرع أثناء شرحه لهذا الكتاب إلى ذكر العديد من القضايا والمسائل العلمية، وفي كافة علوم اللغة العربية من شعر ونثر وبلاغة وغير ذلك. وسيتطرق البحث إلى تبيين منهجه البلاغي في هذا الكتاب وذلك بعد ذكر أهم ما ذُكِر عن هذا الإمام في جانب حياته العلمية وعلاقته كتابه هذا بالبلاغة العربية.

**شخصية ابن عبيدالله وحياته العلمية**

هو الإمام عبد الرحمن بن عبيد الله بن محسن السقاف. ولد في السابع والعشرين من رجب سنة 1300هـ بمدينة سيئون بحضرموت، ونشأ نشأة صالحة في كنف أسرته وهي إحدى الأسر المشهورة بالعلم والكرم، واعتنى بتربيته والده الرجل الصالح الزاهد عبيد الله بن محسن السقاف (ت1323هـ). وتتلمذ وهو دون سن البلوغ على الإمام عيدروس بن عمر الحبشي، صاحب الغرفة (ت1314هـ)، وكان تأثره به قويا وتعلقه به تاما. وقد اعتنى به والده في تعليمه وحرص على استصحابه للمجالس العلمية المنتشرة في حضرموت تلك الأيام، كما اختار لتعليمه نخبة من خيرة المدرسين وعهد إليهم تعليمه القرآن الكريم والفقه والنحو. ومن المستغرب أن بعض أساتذته أصبحوا فيما بعد من تلامذته المواظبين على حضور دروسه حتى أصبح ابن عبيد الله بعد ذلك إمام عصره (ابن عبيد الله، 2015).

فهو علَّامةٌ محدثٌ مفسرٌ، جيَّاش الفؤاد ذو ذاكرة وقادة، مفتي حضرموت، الفقيه الألمعي الشاعر الأديب المؤرخ اللوذعي النابغة العظيم، الذي لم تنجب حضرموت مثله في التوقد الذهني والبديهة الحاضرة والعلم الغزير والذكاء النادر والجرأة الفائقة والمؤلفات البارعة الشاهدة له بالإتقان والتفرد على الأقران (باذيب، 2009). وقد ذاع صيته في جميع أرجاء حضرموت وبين العرب وفي اندونيسيا وماليزيا وسنغافورا والهند وشرق أفريقيا، وكان بيته منتدى يؤمه العلماء والوجهاء والسلاطين والأعيان، وكانت فتاويه مقبولة وآراؤه محترمة، وكان يُسمى بمفتي الديار الحضرمية، وكان عظيم الاهتمام بإصلاح وادي الأحقاف، والقضاء على ما أصابه من الفوضى والاستبداد والإجحاف، وما مُنِي به أهله من الجهل والتفرق والخمول، فجهر بالدعوة لدولة الإسلام في أواخر أيام الحرب العالمية الأولى (عائض القرني، 2011؛ ابن عبيد الله، 2015).

وكانت له صلة وثيقة بالقائد العثماني الكبير علي سعيد باشا، الذي احتل لحجًا في ذلك العهد، وجمع كثيرا من توقيعات أعيان الوادي ومشايخه بالانضمام إلى الدولة العلية، ولما شعرت حكومة عدن الإنجليزية بذلك قررت منح جائزة لمن يغتاله، ولكن الله عصمه من كيدها، وترى في قصائده توجعاً وأسفا لما حل بوادي حضرموت من نكبات أصابت أهله في دينهم ودنياهم، فابن عبيد الله يُعد مدرسة في الذائقة الجمالية الأدبية، فحسبك به معرفةً لجزلِ القولِ وناصع الكلام وخالص الحديث، بل هو إمامٌ في النقد الأدبي، وهو كاتبٌ ساخرٌ إذا أراد، وروايةٌ ملهم وقاضٌ مشجٍ وشاعرٌ لا يشق له غبار، ومما فاق به على كل الأدباء هو جمعه بين الشعر وفنون الأدب مع حفظه لناموس الشريعة ومقام الدين وهيبة الملة (عائض القرني، 2011).

ولقد طلب العلم وتلقى عن الكثير من العلماء نذكر أبرزهم للاختصار، وعلى رأسهم والده العلامة السيد عبيد الله بن محسن السقاف، وتفقه بالقاضي السيد علوي بن عبدالرحمن السقاف، والسيد شيخان الحبشي، والسيد عيدروس بن عمر الحبشي ابن عبيد الله، وغيرهم الكثير (ابن عبيد الله، 2005؛ باذيب، 2009). أما عن تلامذته فلاشك أن الذين استفادوا من علمه كثيرون، ومن أبرزهم ابنه السيد الأديب الفقيه (حسن)، وابنه السيد الأديب

قيدان، والقاضي علوي بن عبدالله السقاف، والسيد محمد بن سالم بن حفيظ، والسيد صالح بن علي الحامد، والعلامة محمد بن شيخ المساوى، والعلم الزاهر شيخ عدد من المشايخ الكبار في هذا العصر الحديث الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف، القائل في شيخه ابن عبيد الله: "ما انفرج رحم أنثى عن مثل ابن عبيد الله" (باذيب، 2009).

وله المصنفات العديدة المخطوطة والمطبوعة ومن أهم مصنفاته العلمية – واختصارا سنعرج على ذكر البعض من مصنفاته المطبوعة في الفقه – كتاب (صوب الركام في عمدة الأحكام) وهو مطبوع، وله اسم آخر غير شهير: (الأسرار الفاشية في تكميل الحاشية)، وهذا الكتاب ذو قيمة كبيرة ويُعدّ من مفاخر مؤلفات فقهاء حضرموت (باذيب، 2009). ومن مصنفاته في الحديث كتاب (بلابل التغريد فيما استفدناه أيام التجريد)، ولا يوجد منه إلا الجزء الأول، وهو موضوع دراستنا التحليلية من الناحية البلاغية، وكتاب (حاشية على الشمائل النبوية للإمام الترمذي). ومن مصنفاته في التاريخ كتاب (إدام القوت أو معجم بلدان حضرموت). ومن مصنفاته في الأدب والنقد كتاب (ديوان شعر ابن عبيدالله)، وهو ديوان حافل بأصناف وألوان القصائد، وكتاب (مفتاح الثقافة أو النجم المضيء في نقد عبقرية الشريف الرضي) (ابن عبيد الله، 2015)، وكتاب (النقد العلمي الذوقي في الجواب عن أبيات شوقي)، وكتاب (العود الهندي عن أمالي في ديوان الكندي) وهو من أفخر وأجل كتبه، مَن قرأ هذا الكتاب بتمعن ينسى كل كتاب أدبي وشعري قرأه من قبل، لجودة عباراته وأسلوبه التي تجعلك لا تمل إذ يشجيك ويبكيك ويقص عليك وينعشك ويهزُّك ويطربك (عائض القرني،2011). ومن مصنفاته في مجالات أخرى، كتاب معارضته للبردة، وكتاب (الإماميات) وهي قصائد في مدح الإمام يحيى، وقد طبع في القاهرة عام 1345هـ، وكتاب (السيف الحاد لقطع الإلحاد)، فضلا عن العديد من الكتب العظيمة والمحاضرات والخطب المخطوطة (عائض القرني، 2011؛ ابن عبيد الله، 2015).

وكان ابن عبيدالله يستنجد ويراسل الإمام يحيى حميد الدين إمام اليمن الشمالي في حينه الذي كانت له به رابطة قوية، وكان يجيبه على كتبه وقصائده بمثلها بحرا وورويا، ولما اغتيل الإمام يحيى أقام عليه صلاة الغائب بمسجد سيئون، ثم رحل إلى تعز لتعزية ابنه أحمد. قال ابنه (حسن) بن عبدالرحمن بن عبيدالله إن هذه الرحلة كانت آخر رحلاته ثم مرض بعدها بالحمى وبينما هو جالس بين عُوَّاده أراد قراءة قوله تعالى: (مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ) (سورة: الفتح، آية: 29)، فخنقته العبرات حتى أشفقنا عليه، ثم أتمها بصوت متهدج وبات يصابر الداء حتى أسلم روحه في الفجر في الخامس والعشرين من ربيع الثاني عام 1375هـ بمسقط رأسه مدينة سيئون، فسارت المنعاة بنعيه في طول الوادي وعرضه، وشُيِّعت جنازته في مشهد عظيم لم تشهد سيئون أعظم منه، رحمه الله وأجزل مثوبته (ابن عبيد الله، 2015).

**علاقة ابن عبيدالله بالبلاغة العربية في "بلابل التغريد"**

فقد كان لابن عبيدالله في كتابه "بلابل التغريد" اهتماما بليغا واتصالا وثيقا وعميقا بعلوم اللغة العربية، ويندرج تحتها علم البلاغة العربية. وقد ردَّ ابن عبيدالله على من قال إن اللغة العربية خاصة أو محصورة في العرب، وهذا شأن من يحاول أن يقلّل من شأن إعجاز القرآن بلغته ومعانيه ومفاهيمه، وكان رده جميلًا مقنعًا في نقاط عديدة مرتّبة، من أهمّها: "أن أساطين البلاغة، وأراكين البيان، تجدهم في الأغلب من علماء الأعاجم، وقد تضلعوا من العربية بزّوا به أبناءها وصدّقوا به قوله تعالى: (وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) (سورة محمد، آية: 38)، وقوله صلى الله عليه وسلم: ( لَوْ كَانَ الدِّينُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَذَهَبَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ فَارِسَ – أَوْ قَالَ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ – حَتَّى يَتَنَاوَلَهُ ) "(ابن عبيدالله، 2015: 672؛ مسلم، 2006)، فيبين ابن عبيدالله أن إدراك محاسن اللغة العربية والإبداع فيها ليس خاصّا بالعرب بل يشترك فيه العرب والعجم، ودلّل على ذلك بما كان من اهتمام عند الدارسين الأوائل من الأعاجم، وتفوقهم في ذلك على الكثير من العرب.

ثم ذكر ابن عبيدالله أنه لم يقل أحد منهم إن ما دوّن من محسّنات الكلام وأسرار البيان كان منقولا عن السريانية أو الفارسية أو غيرها من اللغات، ولا يمكن اتهامهم بغمض ذلك لو كان، إذ لا حريجة فيه من الدين، ولا نقص به على الإسلام، وإنما لهم الشرف والجمال، ولكنهم أدُّوا الأمانة فدل ذلك على عظم انصافهم وصحة إخلاصهم في العلم وخدمة الدين الإسلامي، فلهم بذلك أكبر الفضل على الإسلام وعلى العرب فيما مضى إذ حفظوا لهم تراثهم لما ضيعوه، كما أن أكثر الأمل معقود بهم في المستقبل في ذلك (ابن عبيدالله، 2015). وهنا يبين ابن عبيدالله أن ما كان في هذه اللغة العربية من محسنات وأسرار بيانية بلاغية وغيرها، فأنه لم يتجرأ أحد من الدارسين القدماء أن ينسب هذه الجماليات اللغوية والبلاغية إلى لغة من اللغات الأخرى السابقة.

ثم ذكر ابن عبيدالله أن هناك مسألة عالقة بذهنه عن لسان الدين ابن الخطيب وهي أن إعجاز القرآن لا يكون بعد الأعصر السالفة إلا لمن عرف أسرار البلاغة وارتاض عليها، وأنّى للكافة بذلك بيد أن عندهم حظًّا وافراً ونصيباً كاثرًا وحسبك أنه إذا جاء الكلام الخالص المنقَّح البليغ العذب وفي أثنائه آية أو جملة مقتبسة من الذكر الحكيم نصعت نصوعاً وبرعت بروعاً حتى كأنها القمر بين النجوم، أو الدرة اليتيمة في أثناء العقد المنظوم كلا والله بلا نسبة أصلا، ثم قال ابن عبيدالله: "لهذا فعندما نستعرض أفصح كلام يقدر عليه المخلوق يكون كالشهاب المتلألئ في جنح الليالي المزهرة، البادية في جُدُوب ذات نُسُق... ثم قال: وأنني طالما قررت أن أفضل أنواع فصاحة القرآن خِفة ألفاظه على أسلَّة اللسان (الأسلة: طرف الشيء المستدق، ومنها أسلة النصل)، حتى لو اقْتَرَأ أحد حصةً منه واقْتَرَأ حصة أخرى مما سواه بقدر الحروف لجاءت مدة الأولى أقصر من الثانية...، ثم قال: وعلى الإجمال فإعجاز القرآن لا ينتهي أبد الأزمان فلو لم يموِّه الله جل شأنه بأن محمدا خاتم النبيين لأغنى عن ذلك حياة كتابه الباقية وتجدد معانيه وتجلي أسراره على طول الأمد، ومن سنته جل جلاله أن لا يبعث الرسل إلا عند الحاجة وقد انتهت بهذا القرآن الذي نسخ الظلام ونشر السلام، وبيَّن الأحكام وناسب تطور أحوال الأنام وضمن مصالح العالم على

اختلاف الأيام، وتعهد بحفظه والناس مضيعون أو نيام، فقال: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (سورة الحجر، آية: 9)، ويا له من حفظ يفتح به البلاد عفوا ويخبط به البحر رهوا "(ابن عبيدالله، 2015: 675). وهنا نجد الكلام الجميل لابن عبيدالله بعباراته الجميلة والجزيلة، التي يصف بها بلاغة وإعجاز هذا القرآن الكريم، وجمال بروزه حين يختلط بغيره، فشبهه تارة بالقمر بين النجوم، وتارة بالدرة اليتيمة في العقد المنظوم.

كما عرَّج المصنف ابن عبيدالله في كتابه "بلابل التغريد" إلى الكلام عن البيان النبوي حيث قال: "ولشدة ما بين الشجاعة والبيان من التناسب وما في ذينك من حسن الأحدوثة وجمال الذكر بين العرب كان صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي ينحدر منه السيل ولا يرقى إليه الطير" (ابن عبيدالله، 2015: 675). قال أبو تمام (1994):

ولو لم يكن في كفّه غيرُ رُوحه ** لجاد بها فليتَّقِ اللهَ سائله

وقال آخر (العسكري، 1994):

يَجودُ بالنَّفْس إذْ ضَنَّ الجَواد بها ** والجُودُ بالنَّفْس أقْصَى غايةِ الجُودِ

(ابن عبيدالله، 2015: 676)

فابن عبيدالله في هذه العبارات يتكلم عن علو مكانته صلى الله عليه وسلم في بيانه وشجاعته وجوده، فلا مثيل له صلى الله عليه وسلم من الخلق في هذه الصفات التي أكرمها الله بها، فقد جعله الله الإنسان الكامل فصاحةً ومنطقًا وحلمًا وعلمًا وكرمًا فاق الناس أجمعين في سمو أقواله وأفعاله وصفاته.

ثم تكلم عن الحديث النبوي وردَّ على من ينتقده في ذكر الأبيات الغزلية وغيرها في هذا الكتاب الذي يستفتح فوائده بأحاديث مختصر البخاري للزبيدي لأن من خلالها تناول الثناء على الكلام النبوي الذي لا يُمل، ومنه عباراته الآتية التي تتضمن التشبيه الجمالي وعذوبة حديثه عليه الصلاة والسلام في البيت الذي أورده الإمام كشاهد على جمال منطقه عليه الصلاة والسلام وهو (ابن عبيدالله، 2015: 158؛ ذو الرمة، 1995):

وَلَمَّا تَلاَقَيْنَا جَرَتْ مِنْ عُيُونِنَا ** دُمُوعٌ كَفَفْنَا مَآءَهَا بِالأَصَابِعِ
وَنِلْنَا سِقَاطاً مِنْ حَدِيثٍ كَأَنَّهُ ** جنى النَّحلِ ممزوجاً بماءِ الوقائعِ

ففي هذا البيت الذي أورده ابن عبيدالله الصورة التشبيهية في التمثيل والتشبيه بأن حديثه صلى الله عليه وسلم كعسل النحل (كَأَنَّهُ جَنى النَّحلِ) ثم وصفه صلى الله عليه وسلم بالصدق ومطابقة الواقع في قوله: ممزوجاً بماءِ الوقائعِ. ثم يقول ابن عبيدالله معقبا على هذا البيت: "وكأني بمن ينكر إيرادي لهذه الأبيات الغزلية بمناسبة الكلام عن أحاديث سيد الوجود وأشرف مولود، فيتناولني من العتب بنحو ما تناولوا به المتنبي في قوله:

أغار من الزجاجة وهي تجري ** على شفةِ الأميرِ أبي الحسينِ

ولكن ليس الأمر كذلك ولا قريبا من ذلك، إذ المقصود ليس الاستدلال على أنه يوجد من لا يمل كلامه من البشر، وإذا كان المشَبَّه لا يكون مثل المشَبَّه به من سائر النواحي، فأولى هنا إذ لا تشبيه أصلا وإنما هو ذكر وجود شيء للاحتجاج به على وجود شيء من جنسه فيما هو أعلى وأشرف، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم المثال الأعلى والمقام الأسنى ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير" (ابن عبيدالله، 2015: 158و159).

ثم أورد قول الشاعر: لاَ تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ ** مَثَلاً شَرُوداً فِي النَّدَى والْبَاسِ
فَاللَّهُ قدْ ضَرَبَ الأَقَلَّ لِنُورِهِ ** مَثَلاً مِنَ المِشْكَاةِ والنِّبْرَاسِ

ثم قال المصنف ابن عبيدالله مستفيضا في الثناء على الكلام النبوي في قوله:"فكيف يُملّ كلامه وقد اجتمعت له المحاسن، لسان عذبٌ، وكلامٌ كأنه اللؤلؤ الرطب، يخرق القلوب، ويقرع الأسماع، وتتلاقى فيه الحلاوة والطلاوة والإبداع، ويستهوي بفضله العقول، وتنقطع عن وصفه الأطماع، لأنه فوق ما نقول، وحسبك أن أعداءه يتحينون الفرصة لسماعه من حيث لا يشعر، ويتكمنون في سواد الليل للتمتع بفوائده من حيث لا ينظر، أحرَّ به وقد أوتي من الفصاحة الروائع، ومن الكلِم الجوامع، كأنما هي الشهد ممزوجا بماء الوقائع، مع ذلك الوجه الذي تتكسر الأشعة عن صفاته، وتتحير الحدق من بهائه (ابن عبيدالله، 2015: 159):

مُحيَّا لو أنَّ المدلجِينَ اهتدوا بهِ ** لشقَّ الدُّجا حتى ترى الليلَ ينجلي"

ولئن أورد ابن عبيدالله بعض الأبيات في كتابه هذا التي فيها الغزل المحظور وانتهاك الحرمات، فهو لم يوردها إلا من باب النقل، وأخذها كشاهد على وجود من ينتهك الحرمات لأجل أن يصل إلى غايته وهدفه وهو التنبيه من خطر ذلك وتوجيه الغير إلى الحب العفيف، ومن أمثلة ذلك (ابن عبيدالله، 2015: 572؛ ابن قتيبة، د.ت):

كانَ الشَّبَابُ مَظِنَّةَ الجهْلِ ** ومُحَسِّنَ الضَّحَكاتِ والهَزْلِ
والباعِثِي والناسُ قد هَجَعُوا ** حتى أَكُونَ خَليفَةَ البَعْلِ.

فقد ذم ابن عبيدالله امرءا القيس في هذا البيت الشعري حيث قال: "ما علمت أحدا تمدح بالعهار سوى امرئ القيس"( ابن عبيدالله، 2015: 572)، أي من قدماء شعراء العرب. ويمدح ابن عبيدالله غيره من شعراء وفحول العرب في عفتهم وأورد للكثير منهم شواهد على ذلك، وعلى سبيل المثال لا الحصر ما أورده لعنتره (ابن عبيدالله، 2015: 571؛ ابن قتيبة، د.ت):

أَغشى فَتاةَ الحَيِّ عِندَ حَليلِها ** وَإِذا غَزا في الجَيشِ لا أَغشاها
وَأَغَضُّ طَرفي ما بَدَت لي جارَتي ** حَتّى يُواري جارَتي مَأواها

مدح ابن عبيدالله ودعا إلى الحب العفيف وإلى الزواج، وأتى بأبياته الشعرية (ابن عبيدالله، 2015: 635 و636):

لوكان للحب لون لاعتمدت له ** طبّاً ولكنه أعيي بتلوينِ
طَوْراً يحلقُ بي جواً ويهبط بي ** طوراً وآونةً أخرى يُمنيني
له غرائبَ تستهوي العقولَ ولا ** يرمي إلى كنهها فِكرٌ بتخمينِ
يجورُ لكنه عدلٌ في سياسته ** تجري على كلِّ جبَّارٍ ومسكينِ
شريعةٌ ليس فيها فرقةٌ ولها ** عِلْمٌ درى من غيرِ تلقينِ.
لله في الحبِّ سِرٌّ لا يُكيّفُه الإ ** نسانُ ما دام في ذا القالبِ الطيني
وفيه للمرء بالتوفيق مدرجةٌ ** إلى السعادةِ في الدنيا وفي الدينِ

ومما أورد ابن عبيدالله فيما يوجه المستمع إلى الله تعالى، قوله (ابن عبيدالله، 2015: 638):

جزى الله عنى زاجر الشيب خير ما ** جزى ناصحا فازت يداي بخيره
ألفت طريق الحب حتى اذا انتهى ** تعوضت حب الله عن حب غيره

ثم نقف مع إشارة ابن عبيدالله إلى التشبيه والمثل الإلهي، في قوله تعالى: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ...) (سورة النور، آية: 35)، وذلك أثناء جولانه في المدح النبوي حيث أضاف إلى

ذلك من درر كلامه قوله:" قد تكاملت سماته وتناسبت قسماته، لو لم تكن فيه آية مبينة لكان منظره ينبيك بالخير، ويكاد يضيء من غير زيت" ثم نقل قول الحافظ في تفسيره هذه الآية : (الله نور السموات...)، فقال" هو مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فإن جماله الباهر، ووجهه الواضح، شهودٌ بصدقه، وصحة نبوته، بقطع النظر عن سائر الآيات والمعجزات، وما أشبه معناه، ولقد صدق فيما قال، ألا ترى إلى تلك الأعرابية التي ضمنت لقومها وكانوا لا ينسؤن ثمن القعود الذي اشتراه، وقالت إنه ليس بوجه كذاب، ومن رءاه بديهةً هابه، ومن خالطه عشرةً أحبه "(ابن عبيدالله، 2015: 160). فلهو الأحق بقول العباس بن الأحنف:

لو قسّم الله جزءا من محاسنهِ ** في الناس طرّاً لتَمَّ الحُسنُ في الناسِ"

وقول النميري (ابن عبيدالله، 2015: 160؛ الراغب الأصفهاني، 1902):

لو أن ما فيه من جود يوزعه ** على الخلائق عادوا كلّهم سمحا

وقول حبيب (ابن عبيدالله،2015: 160؛ الجرجاني، د.ت):

لو اقتُسمَتْ أخلاقُه الغُرُّ لم تجدْ ** معيباً ولا خَلْقاً من الناسِ عائبا

وقول أبي الطيب المتنبي(ابن عبيدالله، 2015: 160؛ الواحدي، 1861) :

لو فرَّق الكرم المفرق ماله ** في الناس لم يكن في الزمان شحيح

ولقد أورد ابن عبيدالله حديثَ عائشةَ مختصرا، لكني نقلته كاملا من سنن البيهقي وهو"عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : كُنْتُ قَاعِدَةً أَغْزِلُ وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَخْصِفُ نَعْلَهُ فَجَعَلَ جَبِينُهُ يَعْرَقُ وَجَعَلَ عَرَقُهُ يَتَوَلَّدُ نُورًا فَبُهِتُّ فَنَظَرَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: ( مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ بُهِتِّ؟ )، قُلْتُ : جَعَلَ جَبِينُكَ يَعْرَقُ وَجَعَلَ عَرَقُكَ يَتَوَلَّدُ نُورًا وَلَوْ رَآكَ أَبُو كَبِيرٍ الْهُذَلِيُّ لَعَلِمَ أَنَّكَ أَحَقُّ بِشِعْرِهِ. قَالَ: ( وَمَا يَقُولُ أَبُو كَبِيرٍ؟ ). قَالَتْ قُلْتُ يَقُولُ (ابن عبيدالله، 2015: 161؛ البيهقي، 1925):

وَمُبَرَّأً مِنْ كُلِّ غُبَّرِ حَيْضَةٍ ** وَفَسَادِ مُرْضِعَةٍ وَدَاءٍ مُغْيِلِ
فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَسِرَّةِ وَجْهِهِ ** بَرَقَتْ كَبَرْقِ الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ

وهنا نرى أن ابن عبيدالله قد سرد أثناء جولانه في المديح النبوي الكثير من الدرر النثرية المتعلقة بالجمال النبوي، في ذاته وأوصافه، مستدلا ومستشهدا بعدد من النصوص النبوية والشعرية التي يُحسن نشرها وذكرها في هذا المقام.

## المنهج البلاغي لابن عبيدالله

كان منهج ابن عبيدالله البلاغي في كتابه بلابل التغريد كغيره من المحدِثين، فلم يتعمق ويطنب في إيراد صور بلاغية معينة، بل تطرق في عدة مواقف أثناء اسهابه في سرد المفاهيم والنصوص حول شرح الأحاديث أو أثناء خروجه إلى المواضيع الأخرى، وهذا غير كثرة إيراده للأبيات والمقطوعات الشعرية التي تحمل في طياتها الكثير من الأساليب والصور البلاغية.

ومما وقف الباحث عليه من المواقف البلاغية لابن عبيدالله في كتابه بلابل التغريد على سبيل المثال لا الحصر، ما يلي:

1. تطرق الإمام ابن عبيدالله إلى ذكر البلاغة في القول ولاسيما الخطابة في قوله:" وقد صرح الفقهاء بتأكيد البلاغة للخطبة، ومن البلاغة: موافقة مقتضى الحال، وهل يسترجع القلوب النافرة، ويسترد النفوس الجامحة، ويستميل الأبصار الطامحة، سوى البليغ من الكلام، الذي لا يزيد لفظه عن معناه، ولقد سئل بعضهم عن أوجز كلام فقال: قول سليمان (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم. ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين) (سورة النمل، آية: 30 و31)، فجمع العنوان والحاجة والهداية وإظهار الدين في ثلاث من الجمل، وأحرَّ بالبليغ أن تتفتح له القلوب وتهتز النفوس، ويذل الجامح ويرجع الطامح ويسهل الوعر ويلين الصخر"( ابن عبيدالله، 2015: 446 و447).

   وقد علق محقق هذا الكتاب، علي السقاف بعد هذا النص بصفحات في قوله عن بلاغة المؤلف ابن عبيدالله: "وقد اشتهر الإمام ابن عبيدالله بخطبه البليغة التي تحوي درر الكلام، يقولها على البديهة في المناسبات المختلفة، وقد جمعتُ بعضها، وربما طبعت في كتاب، وربما تمكنا من إدراج أحدها في نهاية هذا الكتاب" ( ابن عبيدالله، 2015).

2. رد ابن عبيدالله على من اعترض عليه في ما أورده من تمثيل في حق الله ورسوله، وقد توقع منهم حصول ذلك بقوله: " وكأني بمن يعترض ما سقته من التمثيل بالمواكب والمواسم، ويزعم أنه من التشبيه الذي لا يمكن إيراد مثله في حق الباري عز وجل، وليهنأ باله وليفرح روعه، فإنه تعالى أجرى خطابه لعباده طبق المتعارف بينهم، الجاري على قواعدهم، فذكر الكتاب، والشهود، والميزان في الآخرة، وما أشبه ذلك، من دون حاجة إليه، سوى الجري بهم فيما يعرفون، لقد ضرب لنوره مثلاً بمشكاة فيها مصباح (ابن عبيدالله، 2015: 585)، وقال حبيب (ابن عبيدالله، 2015: 585؛ الجاحظ، 1968):

لا تنكروا ضربي له منْ دونه ** مثلاً شروداً في العلا والباسِ
فالله قد ضربَ الأقلَّ لنورهِ ** مثلاً من المشكاة والنبراسِ

وهنا بيَّن الشاعر أن التمثيل والتشبيه قد أورده الله في القرآن المعجز في لفظه ومعناه، ليقيم الحجة على من ينتقده في تمثيله وتشبيهاته، وجاء في هذا البيت الصورة التشبيهية وأداة التشبيه (ابن عبيدالله، 2015: 637؛ الجاحظ، 1968).

وأورد ابن عبيدالله في موضع آخر قول عنتره:
هزجا يحك ذراعه بذراعه ** فعل المكب على الزناد الأجذم

واستشهد به على أنه "تشبيه للذباب، وقد أغلوا له القيمة، وزعموا أنه من التشبيهات العقيمة، وليس محبوبا على الإطلاق غير الواحد الخلاق، والناس بمراتبهم محجوبون بطبائع موادهم، عن إدراك هذه اللطائف من أنفسهم مع وجودها بتفاوتها في سائر طبقاتهم من سر قوله تعالى: (ونفخت فيه من روحي)، ولما كان الحب المباح مع سلامة الفطرة وسيلة إلى التدرج في معراج الحب الإلهي، لا جرم إن انتسج على مثاله، وأُعطي نموذجا لذي العفة من شرف حاله" (ابن عبيدالله، 2015: 637).

3. تطرق ابن عبيدالله إلى ذكر التشبيه في موضع آخر بصيغة التعجب كشاهد على أن الله خاطب العرب على طريقتهم المتعارف عليه، ومثَّل لذلك في تشبيهه عز وجل شجرة الزقوم فقال: "وما هي نكتة تشبيه طلع الزقوم برؤوس الشياطين وهم لا يعرفونها وتمثيله لنوره بالمشكاة والزجاجة وهي من دونه لولا ذلك المعنى الشريف والحكمة العالية والسنة التي لا تتبدل" (ابن عبيدالله، 2015: 640).
4. ذكر ابن عبيدالله بعضا من الملامح البلاغية في الفاتحة في قوله: "ونكتة ثالثة: وهي أن الثناء في الفاتحة قصير، وهو دلالة الفضل العزيز، والجود الكثير، ومما جاء في السنة من الاقتصاد في الدعاء وقال ابن الرومي (ابن عبيدالله، 2015: 583):

وإذا مدح امرؤٌ مدح امرءاً لنوالهِ ** وأطال فيهِ فقد أرادَ هجاءهُ
لو لم يُقدْ فيهِ بُعدَ المستقى ** عند الورود لما أطال رشاءهُ

وأما الأطناب في الثناء لا لتمهيد المسألة فإن بابه آخر يدخل فيها قوله صلى الله عليه وسلم: ( لا نحصي ثناء عليك...الخ) وما يكون من الملائكة في استهتارهم في التسبيح والتقديس" (ابن عبيدالله،

2015: 583). وهنا تطرق ابن عبيدالله إلى ذكر بعض النكت البلاغية مما يتصل بعلم المعاني، وهو القصر والإطناب في مكانه المناسب، ولقد مثل لذلك وأتى بالشواهد الدالة عليه.

ثم انتقل إلى كلام آخر بقوله: "ومن الغايات البلاغية أن الباري جل شأنه مضى في أم الكتاب من (إياك نعبد) على مشافهة الخطاب على قوله: (غير المغضوب عليهم) فعاد لما ابتدأ بالغيبة، وما ذلك إلا لأسرار عالية وبشارات غالية، منها إشفاقه على عبده من إسناد الغضب إلى نفسه في موقف تعرضهِ لرحمته، وتقربه بمخاطبته، فأصرح بإسناد النعمة إليه في قوله : أنعمت عليهم تحببا على عبده، وإيناسا له، وأفرغ صفة الغضب في قالب الغيبة كيلا ينقطع نياطه من شدة خوفه (ابن عبيدالله، 2015: 584). وهنا يبين ابن عبيدالله بعض الأسرار البلاغية في حالات استخدام الضمائر إما للخطاب أو للغيبة، وفي جملتها أن في فهم وإدراك هذه النكت تنكشف لنا الأسرار الإلهية من لطف الله وإشفاقه بعباده، ورحمته بهم، ففي عدم إسناده سبحانه وتعالى الغضب إلى نفسه وهو مناسبا للحالة التي عباده عليها وهي قيامهم بالصلاة التي هي محل التعرض لرحمته، كما أن هذا المقام يناسب إسناد النعمة إليه سبحانه وتعالى في قوله جل وعلا (أنعمت عليهم).

5. ومن الغاية في البلاغة ما جاء في الصحيح عن عائشة : (أن وليدة كانت تأتيها فتحدثها وتقول: إنهم اتهموني بوشاح فطفقوا يفتشون حتى فتشوا قُبُلها) فما أجمل ما انتقلت به الصدِّيقة إلى ضمير الغائب بعدما جرت في أوله على ضمير المتكلم وما أشرف أدب الخضر عليه السلام في قوله (فأردت أن أعيبها) وقوله (فخشينا أن يرهقهما) إذ أسند إلى نفسه ما ظاهره الذم، ولما انتهى إلى ما لا يحمل غير الخير أسنده إلى ربه، مع أنه كله من عند الله كما صرح به في قوله : (وما فعلته عن أمري) إذ هو كما يرى الفقهاء في قاعدتهم يعود على الجمع (ابن عبيدالله، 2015: 583 و584 و585). وهنا يبين ابن عبيدالله بعض الأسرار البلاغية كذلك، وهي حسن الانتقال والالتفات من السيدة عائشة رضي الله عنها في سردها لواقع القصة من أسلوب المتكلم إلى الغيبة، وأيضا حسن الانتقال والالتفات من سيدنا الخضر عليه السلام وذلك من باب الأدب مع الله، فأسند العيب في السفينة إلى نفسه، وأسند الله إلى ربه فعل هذا الخير الذي لم تظهر في البداية حقيقته لسيدنا موسى عليه السلام.

ثم قال ابن عبيدالله: وما ذكرته من أسرار الفاتحة غيض من فيض ورشة من غدير، ومنه تظهر لك وجوه البلاغة التي تقصر عنها الفحول وتخر عنها العقول، وقد قالوا أن الالتفات خلاصة علم البيان ومرقاته التي تزل عنها الأقدام، وما قررته من المعاني خيرٌ مما فكر فيه علماء هذا الشأن، والإنصاف حَكَمٌ عَدْل، والذوق شاهد مرضي" ( ابن عبيدالله، 2015: 585). وهنا تطرق ابن عبيدالله إلى الحديث عن كثرة الوجوه، والأساليب، البلاغية في الفاتحة، وأن ما ذكره ليس إلا شيئا يسيرا، وأشار إلى أهم النكت البلاغية في هذه السورة وهو الالتفات، الذي يُعد من أهم فنون علم البيان عند الكثير من علماء البلاغة العربية.

6. تطرق ابن عبيدالله إلى ذكر المجاز والحقيقة عندما أوضح المعنى في قوله تعالى (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) (سورة الحاقة، آية: 40)، فذكر أن إضافة الكلام إنما هو كلام المرسِل بكسر السين، فهي إضافة أداء إلى الرسول لا إضافة ابتداء، فلا يجوز أن يقال أنه كلام الرسول حقيقة، كما يتوضح من خلال قول الله في آية أخرى: (إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ (سورة المدثر، آية: 25)، فلا يجوز أن يُنسب حقيقة إليه، وإنما نسب إليه في آية الحاقة مجازا لعلاقة التبليغ فلم يبلغ هو ولا جبريل إلا كلام الله بشهادة قوله جل ذكره: (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ (سورة التوبة، آية: 6)" (ابن عبيدالله، 2015: 63) وهنا يتضح أن ابن عبيدالله ذكر أسلوب المجاز وهو عند قوله: (لقول رسول كريم) فالقول أي (القرآن) منسوب للرسول مجازا، وليس حقيقة لأن القرآن كلام الله جل وعلا، وليس كلام جبريل ولا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد ذُكر لفظ الرسول لعلاقة التبليغ عن الله.

7. تناول ابن عبيدالله ذكر المجاز والتأويل في مسألة كلام الله حيث قال: "والحاصل أن ما في المصاحف هو القران حقيقة لا مجازا، وإن كانت الأصوات والحروف من أعمالنا لدلالتها عليه، ألا ترى أن الواحد ينشد قصيدة لأبي الطيب مثلا فلا يختلج أدنى شك في نسبتها إليه مع أن الأصوات والحروف إنما هي للذي أنشد، فالأمر قريب من هذه الناحية، وإنما بوسع شقة الخلاف التعصب" (ابن عبيدالله، 2015: 67). وفي هذا النص يظهر للمطلع أن ابن عبيدالله تطرق إلى ذكر المجاز في نفيه أن ما في المصاحف هو كلام الله مجازا، بل هو كلام الله حقيقة.

وأورد ابن عبيدالله في حديث آخر ذكر فيه المجاز على رأي بعضهم: "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هَلْ تَرَوْنَ قِبْلَتِي هَا هُنَا فَوَاللَّهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ خُشُوعُكُمْ وَلَا رُكُوعُكُمْ، إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي" ( ابن عبيدالله، 2015: 319؛ الزبيدي، 2009). قال ابن عبيدالله في تعليقه على هذا الحديث:" فأولى أن يكون كله عيونا حقيقة أو مجازا" (ابن عبيدالله، 2015:319).

ثم بعد ذلك بصفحتين عاد إلى توضيح المجاز مرة أخرى لمفهوم آخر بقوله: "ولئن قيل إنما المراد من العمى في الآية الضلال عن الرشد، والعمى عن الحق، قلنا: نعم ولكن القرآن واسع ذو وجوه، لن تضيق مع صراحة اللفظ عن الإشارة إلى شيء مما زيد، ولا سيما مع ما تقرر في الأصول من جواز استعمال المجاز والحقيقة باللفظ الواحد، ومتى تقرر العمى من القلب حصل عكسه لا محالة، فالسابح في بحار الأفكار لا يعرف من يمر بجانبه" (ابن عبيدالله، 2015: 322). فيتضح من خلال ما نُقِل أن ابن عبيدالله تطرق إلى ذكر المجاز في عدة مواضع في هذا النصوص النبوية، وربطها بعدد من المفاهيم الأخرى التي يكون فيها المجاز جليا، ليتضح للمطلع الصورة المراد تبيينها.

وفي مكان آخر ذكر ابن عبيد الله المجاز بنفسه في حديث: "عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزَا خَيْبَرَ فَصَلَّيْنَا عِنْدَهَا صَلَاةَ الْغَدَاةِ بِغَلَسٍ فَرَكِبَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَكِبَ

أَبُو طَلْحَةَ وَأَنَا رَدِيفُ أَبِي طَلْحَةَ فَأَجْرَى نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي زُقَاقِ خَيْبَرَ وَإِنَّ رُكْبَتِي لَتَمَسُّ فَخِذَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ حَسَرَ الْإِزَارَ عَنْ فَخِذِهِ حَتَّى إِنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ فَخِذِ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" (ابن عبيدالله، 2015: 291؛ الزبيدي، 2009).

ثم ذكر في موضع آخر فقال: "القول الثالث: حملها بالمجاز على النازل من الفخذ المفضي انكشافه إلى ظهور ما فوقه وهو المطلوب وبه تنفك العقد بأجملها من هذا الحديث ويحصل المراد، ومن تعين الصرف إلى المجاز كان اللائق حمله على ما ينحل به الإشكال، لا على ما لا يفيد"( ابن عبيدالله، 2015: 295). فيرجح ابن عبيدالله القول بالمجاز في لفظ الحديث لرؤية (بياض الفخذ النبوي) على أن المقصود به النازل من الفخذ، أي ليس الفخذ الحقيقي، إذ أن الفخذ الحقيقي هو ما ارتفع عن الركبة إلى الورك، وهو من العورة التي يجب سترها، والفخذ بالمجاز أفضل ما يتناسب مع الجناب النبوي، وهو ما يراه ابن عبيدالله صوابا، ولائقا لمفهوم هذا الحديث.

## النتائج

نستخلص من عرضنا لحياة الإمام ابن عبيدالله ومنهجه البلاغي في كتابه (بلابل التغريد) ما يلي:

1. التعريف بالإمام ابن عبيدالله، وعن حياته العلمية، ونشأته، وأهم مصنفاته، وعن شهرته التي بها ذاع صيته، وعن شهرته التي بها امتدت علاقته بالكثير من البلدان وبالشخصيات المرموقة، ومن أهمها صلته بإمام اليمن الشمالي حينئذ الإمام يحيى، ثم دامت علاقته بابنه الإمام أحمد، وله الكثير من المؤلفات في مختلف العلوم، ومن أهمها العود الهندي، وكتابه هذا (بلابل التغريد)، وصوب الركام، وغيرها من الكتب الكثير.
2. تبيين وذكر علاقة كتابه بلابل التغريد بعلوم اللغة العربية، وأهم ما تم ذكره في هذا البحث: وهو دفاع الإمام ابن عبيدالله عن الإعجاز القرآني، وعن لغته العربية التي تحمل لنا ألفاظه ومعانيه، وما فيه من أسرار بلاغية، ورد على من ظن أن هذه اللغة العربية خاصة بالعرب ودلل على ذلك بوجود كبار علماء اللغة العربية من الأعاجم، كما تعرض للبلاغة النبوية وجمالها، وأشار إلى بعض الصور البيانية في النصوص القرآنية وغيرها.
3. التبيين لمنهج ابن عبيدالله البلاغي في كتابه بلابل التغريد، فاتضح أنه كغيره من المحدثين، حيث لم يتعمق ويطنب في ايراد صور بلاغية معينة، لكنه تفرد في أسلوبه حين يتطرق في عدة من المواقف أثناء شرحه للأحاديث النبوية من كثرة إيراده للأبيات، والمقطوعات الشعرية، التي تحمل في طياتها العديد من الصور البلاغية، كما أنه تعرض لمفهوم البلاغة في القول ولاسيما الخطابة البلاغية، ولمفهوم التشبيه، وذكر بعض من الملامح البلاغية في الفاتحة، وعن الإطناب في الثناء، وعن الغايات البلاغية في سورة الفاتحة، كما تعرض لذكر والحقيقة، والمجاز.

فختاما لهذا البحث يوصي الباحث الدارسين إلى المزيد من الاهتمام والبحث والاستمرار في الدراسات العلمية فيما يخص البحث عن الأوجه البلاغية والصور البيانية المبثوثة والمنتشرة بكثرة في نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة، وحيث أن الله سلَّم وحفظ هذه النصوص من التحريف والتغيير فهي لازالت محفوظة منه سبحانه وتعالى، ولهذه الخاصية فيهما صارا أحقا بالدراسة والتحليل عن غيرهما من النصوص العربية.

## المراجع

ابن عبيدالله، عبدالرحمن بن محسن السقاف. (2005). *إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت*. تحقيق محمد أبوبكر باذيب ومحمد مصطفى الخطيب، بإشراف محمد غسان عزقول، ط1. بيروت: دار المنهاج للنشر والتوزيع.

ابن عبيدالله، عبدالرحمن بن محسن السقاف. (2011). *العود الهندي عن أمالي في ديوان الكندي*. تحقيق عائض القرني. جدة: دار المنهاج للنشر والتوزيع.

ابن عبيدالله، عبد الرحمن بن محسن السقاف. (2015). *بلابل التغريد فيما استفدناه أيام التجريد*. تحقيق علي بن محسن بن علوي السقاف،ط1.بيروت: الأميرة للطباعة والنشر.

ابن قتيبة الدينوري. (د.ت) *الشعر والشعراء*. تحقيق أحمد محمد شاكر. القاهرة: دار المعارف.

أبو تمام، الطائي حبيب بن أوس. (1994) *ديوان أبي تمام*. شرح الحطيب التبريزي. بيروت: دار الكتاب العربي.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (1968). *البيان والتبيين*. تحقيق المحامي فوزي عطوي، ط1. بيروت: دار صعب.

الجرجاني، أبو الحسن علي بن عبد العزير. (د.ت). *الوساطة بين المتنبي وخصومه*. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي. القاهرة: مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

باذيب، محمد بن أبي بكر. (2009). *جهود فقهاء حضرموت في خدمة مذهب الامام الشافعي*. عمان: دار الفتح للدارسات والنشر.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي. (1925)، *السنن الكبرى*. وفي ذيله: الجوهر النقي لعلاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، ط. حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف النظامية.

الراغب الأصفهاني. (1902). *محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء*. تهذيب إبراهيم زيدان. الفجالة: مطبعة الهلال.

الزبيدي، أحمد بن عبداللطيف. (2009). *التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح مختصر صحيح البخاري*. تحقيق حسن عبدالمنعم شبلي وكسرى صالح العلي. بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون.

العسكري، أبو هلال. (1994). *ديوان المعاني*. شرح أحمد حسن بسج. بيروت: دار الكتاب العلمية.

ذو الرمة، غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي. (1995). *ديوان ذو الرمة*. شرح أحمد حسن بسج. بيروت: دار الكتب العلمية.

مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري. (2006). *صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم*. تحقيق أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، (1861)، *شرح ديوان أبي الطيب المتنبي*. تحقيق فريدرخ ديتريصى: برلين: د.ط. تم التحميل من https://archive.org/details/carminacumcommen00muta